وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البصرة / كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

الشرط ودلالته الوظيفية

في بعض آيات التكوين والارادة الالهية

م. د. محسن طاهر اسكندر

المقدمة

الشرط : أسلوب لغوي , ينبني – بالتحليل-على جزأين , الأول : منزل منزلة السبب , والثاني : منزل منزلة المسبب , يتحقق الثاني إذا تحقق الأول , وينعدم الثاني إذا انعدم الأول , لأن وجود الثاني معلق على وجود الأول , نحو قوله تعالى ﴿ **إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ** ﴾ التغابن/17 , فجملة الشرط إذن تتألف من عبارتين لا استقلال لإحداهما عن الآخر . تسمى العبارة الأولى شرطاً وتسمى العبارة الثانية جواباً أو جزاءً , وهذه الفكرة التامة إنما يعبر عنها بجملة الشرط التي تعتمد في وجودها الشرط والجواب جميعاً.(1)

وكان عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) يجعل من الشرط وما عطف عليه , نحو قوله تعالى ﴿ **وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾ النساء/112 جملة واحدة , فكان يرى الشرط في مجموع الجملتين , لا في كل واحدة منهما على الانفراد , ولا في واحدة دون الأخرى فعنده عبارتا الشرط والجزاء جملة واحدة , لأن العبارتين في جملة الشرط ترتبطان بواسطة أداة الشرط ارتباطاً وثيقاً , لا يتصور معه استقلال إحدى العبارتين عن الأخرى.(2)

وفي هذا السياق تمكن لنا دراسة الموضوع من خلال التطرق إلى بعض أدوات الشرط بنوعيها الجازمة وغير الجازمة في بعض آيات التكوين والارادة الالهية أنموذجاً , فجاء بحثنا على أربعة محاور :

المحور الأول : تناولت أحكام الجملة الشرطية , وكيف تتألف من ثلاثة أركان : أداة الشرط ، وفعل الشرط ، وجواب الشرط . وهي جملة واحدة . ولا يتم الكلام إلا بالجميع ، لأن الشرط والجزاء عبارة عن جملتين تربط بينهما الأداة ، وبذلك تصير الجملتان جملة واحدة .

و**المحور الثاني** : درستُ فيه أدوات الشرط وأحكامها , من حيث إنّ الدائرة الشرطية في العربية تتسع لعدد من الأدوات بعضها ثابتة الأصالة في تأدية تلك الوظيفة الشرطية ، وبعضها لوحظ تحوله عن معان أخرى ، وله وظائف استعمالية متنوعة ، لكنها سواء في تأديتها الوظيفة الشرطية الخاصة به .

والمحور الثالث : تناولت بعض أدوات الشرط بنوعيها ودلالتها , فقد وردت في بحثنا هذا طائفة من الآيات المباركة ، متضمنة لطائفتين من هذه الأدوات , أدوات الشرط الجازمة وأدوات الشرط غير الجازمة , فكان منها (أن ، ومن، وإذا ، ولمّا ، ولو , إمَا) ودلالة كل أداة من خلال سياقها الشرطي .

أما **المحور الرابع** : درستُ فيه الأنماط الشرطية ودلالتها , إذ وردت هناك أنماط شرطية لها صور مختلفة , ودلالات متباينة , وأنماط شرطية متعددة بحسب فعل الشرط وجواب الشرط , ودلالة كل نمط منها , وما تدل عليه ..

وأخيرا بإسهامي المتواضع هذه أرجو من الله السداد والتوفيق . .

المبحث الأول: أحكام الجملة الشرطية

تأتي الجملة الشرطية بكون وجود الأداة أو عدمها على نمطين هما : الشرط بواسطة الأداة ، والشرط بدون أداة ومن الواضح أن النمط الأول هو السائد في الكلام ، وتتكون جملته من ثلاثة أركان : أداة الشرط ، وفعل الشرط ، وجواب الشرط . وهي جملة واحدة . ولا يتم الكلام إلا بالجميع ، لأن الشرط والجزاء عبارة عن جملتين تربط بينهما الأداة ، وبذلك تصير الجملتان جملة واحدة .[3]

يقول ابن السراج(ولا بد للشرط من جواب وإلا لم يتم الكلام وهو نظير المبتدأ الذي لا بد له من خبر)[4] أكدت الدراسات الحديثة تقرير تلك الملاحظة ورأت (انك في جملة الشرط إذا اقتصرت على واحدة أخللت بالإفصاح عما يجول في ذهنك ، وقصرت عن نقل ما يجول منه إلى ذهن السامع ، لأن العبارتين في جملة الشرط ترتبطان بواسطة أداة الشرط ارتباطا وثيقا لا يتصور معه استقلال إحدى العبارتين عن الأخرى) .[5] وقد أخذت الجملة الشرطية أنماطا وأشكالا مرتبطة بالزمن ، أما أدواتها الأساسية في الشرط كما جاء في مباحث النحاة فإحدى عشرة أداة تسمى (أدوات الشرط الجازمة) وهي (إن ، و أذما ، ومن ، وما ، ومهما ، وحتى ، وأيان ، وأين ، وأنى ، وحيثما ، وأي) كلها أسماء ما عدا (إن ، و أذما) فهما حرفان [6]

وظهرت أدوات أخرى يقع الخلاف في عدها جازمة عند فريق ، وغير جازمة عند فريق آخر , مثل (إذا ، لو ، لولا ، كيف ، كلما) أما الطائفة الأولى من أدوات الشرط الجازمة فقد نظر إليها من خلال قرينة الشرط الأساسية وهي الجزم ، وهذه الأدوات في العربية هي(كلمات الشرط الجازمة الثابتة الإقدام في الشرطية).[7]

وهذه الأدوات بنوعيها الجازمة وغير الجازمة تتفق في أمور وتختلف في أخرى ، أشهر الأمور التي تتفق فيها إذ أنها لا تدخل على الأسماء وإنما تحتاج إلى: إما فعلين مضارعين ، أو فعلين ماضيين ، أو فعلين مختلفين ، أو جملة اسمية تحل محل المضارع الثاني وتجزمهما الأداة محلاً ، ولا يمكن أن يحل محل الأول شيء ، لان الأول لابد أن يكون فعلاً مضارعاً أو ماضياً. ومهما كانت صيغة فعل الشرط أو جوابه فإن زمانها لابد أن يتخلص للمستقبل المحض بسبب وجود أداة الشرط الجازمة ، لأن أداة الشرط الجازمة علامة قاطعة على استقبال الفعل بعدها ، أي تخليص زمنه المستقبل المحض سواء أكان الفعل ماضياً أم مضارعاً ، لذا لا يصح في الجملة الشرطية أن تكون حالاً بعد تلك ، لأن الحال لا يصح أن تسبقه علامة استقبال .

ومن المقرر كذلك أن تحقق الجواب ووقوعه متوقف على تحقق الشرط ووقوعه ومعلق عليه ، إذ لا يتحقق المشروط إلا بعد تحقق شرطه ، سواء أكان الشرط سبباً في وجود الجواب والجزاء ، نحو : إن تطلع الشمس يختلف الليل ، أم غير سبب , نحو : إن كان النهار موجوداً كانت الشمس طالعة , فوجود النهار ليس سبباً في طلوع الشمس , وإنما هو ملزم , والجواب لازم له , ولهذا يقولون : إن الشرط ملزم دائما والجزاء لازم , سواء أكان الشرط سبباً أم غير سبب.[8]

فإذا وقع بعد الأداة اسم وفي الغالب أن تكون الأداة (إن ، إذا) وجب تقدير فعل مناسب يفصل بينهما بحيث تكون الأداة داخلة على الفعل المقدر لا على الاسم الظاهر .[9]

نحو قوله تعالى في آيات بحثنا ﴿**وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ**﴾ الانشقاق / 3-4 فـ(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمن والأرض فاعل بفعل محذوف يفسره ما بعده ، والتقدير : إذا مدت الأرض مدت , لأن إذا الشرطية يختص دخولها بالجملة الفعلية ، وما جاء من هذا ونحوه فمؤول ، محافظة على قاعدة الاختصاص

فالشرط عند النحويين ، سياق فعلي وعندهم الجملة الشرطية جملة فعلية , ولما جاءت بعض التراكيب اسمية تأولوا ذلك كي يبقوا على فعلية السياق.[10]

أما طبيعة هذه الأدوات فلها الصدارة في الجملة ولا يمكن أن يسبقها شيء من جملة الشرط ولا من جملة جوابه , ولها دلالات مختلفة ، فمنها ما وضع في أصله للدلالة على ما يعقل ، ومنها ما وضع للدلالة على الأشياء ، ومنها ما وضع للدلالة على الأمكنة ، ومنها المضاف الذي يصلح للأمور السالفة الذكر ، فتدل على احد المعاني المذكورة على حسب دلالة الأمر المضاف إليه وهي الأداة (أي) فتكون للعاقل ولغيره ، وللزمان والمكان . ومنها ما يختص إما بالأمر المتيقن منه أو المظنون والقرائن وحدها هي التي تعين اليقين أو الظن مع الدلالة على الشرطية في كل حالة .[11]

وإذا نظرنا إلى أدوات الشرط نجد الأداة (إن) قد عدت أولى الأدوات الأساسية في الشرط ، إذ يرى الخليل الفراهيدي (ت175هـ) (إني أرى حروف الجزاء قد يتصرفن فيكن استفهاما , ومنها ما يفرقه (ما) فلا يكون فيه الجزاء وهذه على حال لا تفارقها المجازاة).[12]

وهذا ما أكده سيبويه(ت180هـ) من بعده حين عدها(أم الجزاء) [13] ويرى النحاة أن الجزاء في الحقيقة إنما هو بـ (إن) [14] إذ إن جميع أسماء الشرط متضمنة معناها.[15] حتى إن المغاربة لا يسمون (لولا ، لو) أداة شرط إلا إذا كانت بمعنى (إن).[16]

إن الدائرة الشرطية في العربية تتسع لأدوات تتجاوز العدد الذي ذكر . وقال النحاة بهذا ووضعوه تحت تعابير خاصة مثل قولهم (أدوات رتبت ترتيب كلمات الشرط).[17] وأدوات فيها (معنى الشرط أو أدوات فيها رائحة الشرط).[18]

لذا نجد هناك ظروفاً تستعمل كأدوات الشرط ويتعامل معها كأدوات لها وظيفة جديدة في سياق معين ، فتلك الأدوات (لا تدل على معان معجمية ولكنها تدل على معنى وظيفي عام هو التعليق وربط الشرطين).[19]

ومن أحكام الجملة الشرطية أن تكون فعلية ، فعلها وحده هو فعل الشرط سواء كان ماضياً أم مضارعاً أما جملة الجواب فقد تكون فعلية ، وقد تكون اسمية بشرط اقترانها بالفاء أو ما يخلفها ويجب الترتيب بين أجزائها

ويرد فعل الشرط مجزوما لفظاً إن كان مضارعاً ومحلاً إن كان ماضياً وجازمه في الحالتين (أداة الشرط) الجازمة ، أما جواب الشرط فقد يرد جملة فعلية ، وقد يرد جمله اسمية مقترنة بالفاء الزائدة للربط ، نحو قوله تعالى ﴿**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ الزمر/7 ، إذ أنه (إن كان الجزاء أمرا أو نهياً، أو فعلاً ماضياً، أو مبتدأ وخبر فلا بد من الفاء الزائدة للربط) .[20]

ومن الإحكام الأخرى الواردة في الجملة الشرطية والتي من خلالها أعطيت جمالية رائعة هي حين يجتمع الشرط والقسم يحذف جواب احدهما لاستغنائه عن الآخر .

نحو قوله تعالى ﴿**وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾ هود/7 نجد في النص المبارك حذف جواب الجزاء للاستغناء عنه بجواب القسم لأنه إذا جاء في صدر الكلام غلب عليه إذ نجد فعل الشرط (قلت) قد سبق بأداة الشرط (إن) المقترنة بلام التوكيد الموطئة للقسم وجواب القسم

(ليقولن) جاء فعل مضارع مؤكد بـ لام ونون وهذه اللام هي الدليل على أنه جواب قسم وليس جواب شرط ، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم أو يكون جواب القسم قد سد مسد الجوابين .

إذ أن من المعروف في القاعدة اللغوية أن كلاً من الشرط والقسم يستدعي جواباً خاصاً به , يتميز بعلامة أو أكثر يتفرد بها دون الآخر . فجواب الشرط الجازم لابد أن يكون مجزوماً , إما لفظاً لكونه فعل مضارع ، وإما محلاً لأنه فعل ماض, أو لأنه من النوع الذي يجب اقترانه بـ(الفاء) أو (إذا) الفجائية . فتصير الجملة كلها في محل جزم بأداة الشرط ، ولهذا نجد إن اقتران الجملة بهما لدواع بلاغية تفيده توكيداً وتقوية .

فإذا اجتمع الشرط والقسم فالأصل أن يكون لكل منهما جواب , غير أن جواب احدهما قد يحذف اكتفاء بجواب الآخر الذي يغني عنه , ويدل عليه . ولهذا الحذف صور منها : إذا اجتمع الشرط والقسم مع تأخر الشرط , وعدم وجود شيء قبلهما يحتاج إلى خبر – كالمبتدأ والنواسخ- وفي هذه الصورة يحذف في الأرجح جواب المتأخر منهما وهو الشرط نحو : والله من يراقب ربه في عمله لا يخاف شيئاً . فالمضارع (يخاف) مرفوع لأنه في جملة جوابية للقسم المتقدم , وليس جواباً للشرط المتأخر المحذوف الجواب ، إذ لو كان هو الجواب لتحتم جزمه فقيل (يخف). أما إذا تقدم الشرط فالأرجح أن يكون الجواب له وجواب القسم محذوف نحو : من يراقب ربه والله يخشه الناس.[21]

إذن نستخلص مما سبق أن اجتماع الشرط والقسم يقتضي الاكتفاء بجواب واحد يكون -على الأرجح - للسابق منهما . أما المتأخر فجوابه محذوف يدل عليه المذكور .

المبحث الثاني : أدوات الشرط وأحكامها :

ذكرنا إنّ الدائرة الشرطية في العربية تتسع لعدد من الأدوات بعضها ثابتة الأصالة في تأدية تلك الوظيفة الشرطية ، وبعضها لوحظ تحوله عن معان أخرى ، وله وظائف استعمالية متنوعة ، لكنها سواء في تأديتها الوظيفة الشرطية الخاصة في التعليق وربط الشرطين . وقد يدخل الترادف والتطابق فيما بينها وهذا له أسبابه ضمن السياق ، ولكنه يعكس حقيقة ثابتة هي أن تلك الأدوات تشترك في وظيفة واحدة ، فالترادف والتطابق واضح في الجملتين مثلا (إن تأتني أكرمك ، وكلما تأتني أكرمك) وفيها تعلقت جملتا جواب الشرط على جملتي الشرط ، ولكن الفرق الثانوي المضاف هو التكرار الذي يفيد التركيب الثاني دون الأول .

وقد اكتسبت هذه القيمة الدلالية في التركيب الثاني من الوظيفة الفرعية التي تؤديها الأداة (كلما).[22] وكذلك مع (إن) فتكون للمحتمل والمشكوك لأنها لا تدخل على متيقن ، او قد تدخل على المتيقن لكونه مبهم الزمان . ومع (إذا) فيما تجتمع (إن) في مواضعها و(إذا) في مواضع (إن) . فالقرائن وحدها هي التي تعين اليقين او الظن او الشك او الاستحالة مع الدلالة على الشرطية في كل حالة .[23] وخلاصة القول أن (إذا) تستعمل فيما هو محقق الوقوع ، و (إن) تستعمل فيما هو مشكوك فيه .[24] وقد ذكرنا أوجه الاتفاق فيما بين أدوات الشرط السالفة , ولكن هناك أوجه وأمور تختلف فيها أدوات الشرط منها : الاختلاف في ناحية الاسمية والحرفية , ومن ناحية اتصالها بـ(ما) الزائدة وعدم اتصالها , وفي ناحية إعرابها , وفي ناحية معناها ودلالتها.[25]

وهذه أدوات شرط تختلف فيما تدل عليه . وعليه فإن (إن) و(إذا) للاستقبال ، أما (لو) فهي للمضي ، إلا ترى انك إذا قلت: إن تجتهد تنجح ، فان هذه دالة على الاستقبال وكذلك (إذا) قال تعالى **﴿إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ﴾** الانشقاق/1 وقال تعالى **﴿إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ﴾** الانفطار/1 وهو حديث عن المستقبل وتقول عنها : ظرف لما يستقبل من الزمان . ولكن حينما نقول في لو : لو زرتني أكرمك ، فمعنى هذا أنه لو كان منك الزيارة في الماضي ، لكان مني الإكرام . فالشرط الذي تدخل عليه (لو) ينبغي إن يكون ماضيا .[26]

إذن (إن وإذا) تشتركان في الاستقبال و (لو) تختص بالماضي ، ولكن مع اشتراك (إن) و (إذا) في أمر واحد – وهو الدلالة على الاستقبال فإن بينهما فرقا . وذلك أن فعل الشرط ، إما أن يكون المتكلم جازما بوقوعه او يغلب على ظنه أنه واقع , ففي هاتين الحالتين تستعمل (إذا) فتقول : أتيك إذا طلعت الشمس ، فأنت جازم بطلوع الشمس ، وقد يكون فعل الشرط مشكوكا فيه – والشك تردد النفس بين شيئين – وقد يترجح عند المتكلم عدم الوقوع . وفي هاتين الحالتين – اعني حالة الشك – تساوي الوقوع وعدمه أو ترجيح عدم الوقوع – تستعمل (إن) فتقول : إن تجتهد تنجح إذا كنت شاكاً في اجتهاد المخاطب ، أو كان اجتهاده أمراً مرجوحاً عندك

إذن نستعمل (إن) إذا كان المتكلم غير جازم بوقوع الشرط ونستعمل (إذا) حين يكون المتكلم جازماً بوقوع الشرط ، أو يغلب على ظنه وقوعه.[27] وفي كتاب الله خير ما يجلي لنا هذه القضية ، ويقفنا على ما فيها من دقة وروعة ، وبلاغة في التعبير ، نحو قوله تعالى﴿**هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ غافر/68 وقال تعالى ﴿**حتى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ**﴾ هود/40 وقال تعالى في استعمال (إن) **﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** هود/14من خلال الملاحظة في النصوص المذكورة نجد الآيات التي تصدرت بـ (إذا) تتحدث عن الإرادة التكوينية وعن حقيقة الخلق والإنشاء والإبداع ، وهي حقيقة مطلقة واقعة دون شك ، وان هي إلا إرادة يتمثل اتجاهها إلى الخلق في كلمة (كن) فإذا الوجود ينبثق على أثرها (فيكون) فتبارك الله أحسن

الخالقين .. وفي الآية/40 من سورة هود إذ تتحدث عن مشهد التعبئة عندما حلت اللحظة المرتقبة (فإذا جاء أمرنا) فلما حدث هذا (قلنا: احمل فيها من كل زوجين اثنين) فهو واقع لا محال .

وهكذا عند الاستقراء نجد أن (إذا) تستعمل – في الغالب – في كتاب الله لما هو محقق الوقوع ، ولذا يكثر دخولها على الفعل الماضي . أما الآيات التي تصدرت بـ (إن) نجدها تتحدث عن مشيئة الله وعلمه بمكونات الضمائر ، فهو المجازي عليها والمتصرف في مصائر العباد بما يشاء من الرحمة والعذاب .. فنجد (إن) تتحدث غالبا فيما هو ليس بمحقق أو نادر الوقوع .

وإذا أردنا أن نعلم بمجال موقع كل من الأداتين والاطلاع على موضعها لكي لا نستعمل إحداهما مكان الأخرى فانظر إلى قوله تعالى في حديثه عن الخصب والنعمة والجوع والبلاء في آل فرعون ، إذ قال تعالى : ﴿**فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ الأعراف /131 كيف دخلت (إذا) على الماضي ، لأنه محقق الوقوع ، وذكرت بجانب الحسنة ، وهي أمر حاصل لا محالة ، ودخلت (إن) على المضارع وذكرت بجانب السيئة النادرة الوقوع ؟!

ولا ننسى سر تعريف لفظة(الحسنة) وتنكير (السيئة) ولنستمع إلى الزمخشري ليطلعنا على دقائق آي الذكر بقوله ((فان قلت، كيف قيل (فإذا جاءتهم الحسنة) بـ(إذا) وتعريف الحسنة ، و(إن تصبهم سيئة) بـ (إن) وتنكير السيئة ؟ قلت ، لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه ، وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ، ولا يقع إلا شيء منها ومنه قول بعضهم : قد عددت أيام البلاء فهل عددت أيام الرخاء؟))[28]

وأدوات الشرط كثيرة فمنها الجازمة ومنها غير الجازمة ، ولكن أولى الأدوات الأساسية في الشرط هي (إن) وقد عدها سيبويه (أم الجزاء).[29] لذا نرى جميع أدوات الشرط متضمنة لمعناها . وقد فرقت المباحث النحوية المعاصرة بين أداة الشرط فيما تقتصر على تأدية وظيفتها في التعليق والربط الشرطي في الجملة الشرطية ، وفيما هي أداة تجاوزت تلك الوظيفية إلى تأدية معنى معين كانت قد استعملت فيه قبل استعمالها في الشرط , وهي كنايات تستعمل لتدل على الأشخاص والأشياء ، والأزمنة والأمكنة ، ثم استعملت في الشرط لتؤدي وظيفة الربط والتعليق بين عبارتي الشرط والجواب.[30]

ومن الأحكام الأخرى التي تتعلق بأدوات الشرط هو أن أداة الشرط تكون مبتدأ والجملة الشرطية تكون خبراً, وتكون من نوع الخبر الذي لا يتمم المعنى بنفسه مباشرة مع المبتدأ , وإنما يتممه بمساعدة شيء آخر يتصل به والجملة الشرطية لا تتممه إلا بملاحظة الجملة الجوابية المترتبة عليها.[31]

ومن الأحكام الأخرى التي تخص أدوات الشرط أنه لا يحذف بعدها فعل الشرط , مع بقاء فاعله ظاهراً وبعده الفعل المفسر للمحذوف , إلا إذا كانت أداة الشرط (إن و إذا) فيكثر حذفه بعد كل منهما , حتى قيل أن حذفه في تلك الصورة بوصفها السالف واجب ولكن بقاءه – برغم قلته – جائز وذلك لتعدد النصوص الواردة به والتي لا تحتاج إلى تأويل , ومن أمثلة الحذف بعد (إذا) الشرطية قوله تعالى وقد أخرجها بعض النحاة من الشرط إذا كانت مسبوقة بـ(حتى) , والصواب انها شرطية بدليل اقتران جوابها بالفاء [32], كقوله تعالى ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً**﴾ محمد/4 , وقوله تعالى ﴿**حتى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا** ﴾ مريم/75 وقال تعالى في وصف يوم القيامة ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ** ﴾ الانفطار/ 1- 5

ومن الأحكام الأخرى التي تتعلق بأدوات الشرط هو أن تدخل عليها (ما) الزائدة , نحو (إذا ما) و(إمَا) و(متى ما) او(حيثما) و (أينما) وقد ذهب النحاة فيها إلى أنها تؤدي غرضين:

الأول: إفادة الإبهام والعموم , وتتصل بها (ما) المزيدة فتزيدها إبهاما. نحو (سأزورك إذا جن الليل) فالراجح أن يكون القصد ليل يومك ذاك أما إذا قلت (سأزورك إذا ما جن الليل) فانه لا يتعين ليل ذلك اليوم , بل أصبح الكلام يحتمل الليالي الأخرى القابلة , وذلك لان (ما) أبهمتها .[33]

و**الثاني إفادة التوكيد** , لذا يقول سيبويه إنها تأتي للتوكيد نحو(متى ما تأتني آتك).[34] وجاء في المقتضب إنها تكون زائدة للتوكيد فلا يتغير الكلام بها عن عمل ولا معنى فالتوكيد في هذه الحروف وفي نظائرها.[35] ومعنى التوكيد في هذه الحروف اظهر من الإبهام في الاستعمال القرآني فأننا لا نرى إبهاما في قوله **﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ فصلت/20فهذا دليل ظاهر على إنها تفيد التوكيد , فشهادة السمع وسائر الجوارح من المعاني القوية التي لا يقتضيها الإبهام.

المبحث الثالث : أدوات الشرط ودلالتها

وردت في بحثنا هذا طائفة من الآيات المباركة ، متضمنة طائفتين من هذه الأدوات فكان منها (أن ، ومن، وإذا ، ولمّا ، ولو , وأمَا) ويمكن أن نوضحها على النحو الآتي

1– (إنْ) :

تستعمل (إن) في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها , والنادرة , والمستحيلة وسائر الافتراضات الأخرى , فهي لتعليق أمر بغيره عموماً.[36]

فمن المعاني المحتملة الوقوع قوله تعالى﴿ **فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ** ﴾ البقرة/191,ومن المعاني المشكوك في حصولها نحو قوله تعالى ﴿**وَلَٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** ﴾ الأعراف /143, والمعاني المفترضة التي لا وقوع لها قوله تعالى﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ** ﴾ القصص/71, ومثله قوله تعالى ﴿ **وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ** ﴾الطور/44, ومن المعاني المستحيلة قوله تعالى ﴿**قل إن كان للرحمن ولدٌ فانا أول العابدين** ﴾ الزخرف/81 ومثله قوله تعالى﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ** ﴾ الرحمن/33

جاء في (الكليات):(إن) الشرطية تقتضي تعليق شيء , ولا تستلزم تحقق وقوعه ولا إمكانه , بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً , كما في قوله تعالى ﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ** ﴾ الزخرف/81 ومثله قوله تعالى﴿**فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ الأنعام/35.[37]

لقد ذكرنا إن (أن) تستعمل في المعاني المحتملة المشكوك كونها , ولكن ربما ورد بعدها المتيقن قليلاً , وذلك نحو قوله تعالى ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا على عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ** ﴾ البقرة/23 وقوله تعالى ﴿**أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ آل عمران/144وهو ميت لا محالة .[38] وجاء في شرح ابن يعيش :" وتقول من ذلك (إن مت فاقضوا عني ديني) وإن كان موته كائناً لا محالة فهو من مواضع (إذا) إلا أن زمانه لما لم يكن متعيناً , جاء استعمال (إن) فيه قال تعالى ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ آل عمران/144" [39] وجاء في الطراز في (إن) لا تقع في المواضع المحتملة المشكوك فيها , قال تعالى ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ الأنفال/61, وقال تعالى ﴿ **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾ فاطر/4[40]

وجاء في مختصر المعاني (وقد تستعمل (إن) في مقام الجزم بوقوع الشرط تجاهلاً , كما إذا سأل العبد عن سيده هل هو في الدار , وهو يعلم أنه فيها فيقول: "إن كان فيها أخبرك "يتجاهل خوفاً من سيده , أو لعدم جزم المخاطب بوقوع الشرط فيجري الكلام على سنن اعتقاده , كقولك لمن يكذبك: إن صدقتُ فماذا تفعل . مع علمك بأنك صادق .او تنزيل المخاطب منزلة الجاهل لمخالفته مقتضى العلم , كقولك لمن يؤذي أباه: إن كان أباك فلا تؤذيه. أو التوبيخ .. أو تغليب غير المتصف به , أي بالشرط على المتصف به , كما إذا كان القيام قطعي الحصول لزيد ,غير قطعي لعمرو, فتقول: إن قمتما كان كذا)[41] ويكثر وقوع (ما) الزائدة بعدها , فتدغم فيها النون نطقاً وكتابةً فتصبح(إمَا) , كقوله تعالى ﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا**

تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ الإسراء/23 ومثله قوله تعالى ﴿ **فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴾ الأنفال/57 - 58 وتسمى بهذه الصورة : إن , المؤكدة بما.[42]

وهي من أدوات الشرط يأتي بها لتعليق الجواب على الشرط تعليقاً مجرداً يراد منه الدلالة على وقوع الجواب وتحققه , بوقوع الشرط وتحققه , من غير دلالة على زمان أو مكان أو عاقل أو غير عاقل . وهي (أم حروف الشرط ولها من التصرف ما ليس لغيرها , إلا تراها تستعمل ظاهرة ومضمرة ومقدرة).[43]

وكذلك إن جميع أسماء الشرط متضمنة لمعناها وهي (أم الباب) وتجزم ما بعدها فعل الشرط ، أما الجزاء فيختلف فيه فذهب المبرد إلى (أن الجازم للشرط (إن) وإن وفعل الشرط جميعا عملا في الجزاء، فهو عنده كالمبتدأ والخبر فالعامل في المبتدأ الرافع له الابتداء ، والابتداء والمبتدأ جميعا عملا في الخبر.. وكذلك(إن) هي العاملة في ما بعدها من فعل الشرط وفعل الشرط وحروف الشرط جميعا عملا في الجزاء).[44]

وهي تدخل على جملتين فعليتين فتجعل الفعل الداخلة عليه للاستقبال وان كان ماضيا وتعلق إحداهما بالأخرى وتربط كل واحدة منها بصاحبتها حتى لا تنفرد إحداهما عن الأخرى ، وإنما وجب أن تكون الجملتان فعليتين من قبل , لان الشرط يكون بما ليس في الوجود ، ويحتمل أن يوجد وان لا يوجد ، والأسماء ثابتة موجودة لا يصلح تعليق وجود غيرها على وجودها، ولا يخلو هذان الفعلان من أن يكونا مضارعين ، أو ماضيين ، أو احدهما ماضياً والآخر مضارعاً . فإن كانا مضارعين كانا مجزومين وظهر الجزم فيهما ، وان كانا ماضيين كانا مثبتين على حالهما وكان الجزم فيهما مقدرا.[45]

وتستعمل (إن) في المعاني المحتملة والمشكوك في كونها ،لأن (إن) إنما مخرجها الظن والتوقع.[46] ولا بد أن يليها الفعل وإذا لم يأت بعدها فعل فيكون على إضمار فعل مقدر يفسره الظاهر ، لأن الشرط لا يكون إلا بالأفعال .[47]

ومن الآيات التي تضمنت (إن) قوله تعالى ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ العنكبوت/61

نجد أن الأداة قد تصدرت الجملة الشرطية , فإذا دخلت على الفعل المضارع جزمته وأن دخلت على الفعل الماضي حولته إلى الاستقبال ومن الملاحظ أن بعضا من هذه الآيات جاء جوابها مقترنا بـ (الفاء) وذلك لأنها قد توسطت بين أمرين السابق منهما هو العلة او السبب في المتأخر الذي يليها ، ولهذا سميت(فاء السببية) أي معناها الدلالة على أن ما بعدها سبب لما قبلها ، وتوصف بـ(الجوابية) أي أنها تدل على أن ما بعدها بمنزلة الجواب لما قبلها ، إذن هي للدلالة على السببية والجوابية معا .[48] وقد جاء تركيب (إن) في الجملة مع ملاحظة سيبويه (الفعل أن يلي إن أولى).[49]

2- (من) :

كناية عن العاقل ، تؤدي وظيفة التعليق والربط بين عبارتي الشرط والجواب.[50] فتكون شرطاً للعاقل , قال تعالى ﴿ **فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾ البقرة/158, قال سيبويه : "(من) وهي للمسألة عن الأناسي , ويكون بها الجزاء للأناسي , وتكون بمنزلة (الذي) للأناسي" [51] ولو قال للعقلاء , أو لذي العلم لكان أجود , فإنها تستعمل لغير الأناسي من العقلاء , فقد تستعمل للملائكة , قال تعالى ﴿ **وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ** ﴾ النساء/172, واستعملها للجن , إذ قال تعالى ﴿ **فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا**﴾ الجن/9, وجاء في المقتضب : " تقول في (من) (من يأتني آته), فلا يكون ذلك إلا لما يعقل , فإن أردت بها غير ذلك , لم يكن.فإن قال قائل : فقد قال الله عزَ وجل ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ** ﴾ النور/45, قيل إنما جاز هذا , لأنه قد خلط مع الآدميين غيرهم بقوله تعالى ﴿ **والله خلق كل دابة من ماء**﴾ وإذا اختلط المذكوران جرى على أحدهما ما هو للآخر إذا كان في نفس معناه "[52]

جاءت(من) متصدرة الجملة الشرطية في عدة مواضع متفقة مع قرار النحاة في صدارة رتبة الأداة في الشرط ، وقد وضعت في أصلها للدلالة على شيء يعقل – غالبا – فإذا تضمن معه معنى الشرط صارت أداة شرط جازمة . أما الصيغ التي تلت (من) فكانت صيغة (يفعل) نحو قوله تعالى قَالَ الله ﴿**وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاء**﴾ الحج / 18 فهذه الصيغة عدت صيغة أساسية في الدائرة الشرطية لدلالتها على المستقبل ، وظهور تأثير العامل فيها . أما الصيغة الأخرى الواردة بعد(من) فهي نمط (لم يفعل) أي : فعل الشرط المقترن بـ (لم) الجازمة . كقوله تعالى ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾النور/40 ، وقوله تعالى ﴿**وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ لقمان/23 وقد لوحظ أيضا أن جوابها جاء مقترنا بـ (الفاء) لأسباب ذكرت في الحديث عن الجملة الشرطية واقتران الجواب بها, منها انه إما تجرده منها مع وجوب جزمه , وإما اقترانه بها حينما يكون مثبتاً أو منفيا بـ (لا) نحو قوله تعالى ﴿ **فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً و لا رهقا** ﴾ الجن/13

ومثله قوله تعالى ﴿ **وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا** ﴾ طه/112, أي : فهو لا يخاف أنها زائدة للربط المحض الدال على التعليل , وليس للعطف ولا لغيره , ولا تفيد معنى إلا عقد الصلة ومجرد الربط المعنوي بين جملة الجواب وجملة الشرط , كي لا تكون إحداهما مستقلة بمعناها عن الأخرى بعد زوال الجزم الذي كان يربط بينهما. وهي تفيد الترتيب والتعقيب مع دلالتها – في الغالب- على السببية الجوابية في الوقت نفسه . وغالباً ما تقع في جواب نفي أو طلب أو ملحقاتها .. فما بعدها مسبب عما قبلها وجواب له.[53]

3– (إذا) :

وهي ظرف لزمان المستقبل ، أو أداة تدل على الشرط تنهض بمعان مختلفة بحسب السياق ، وقد تنوعت معاني سياقها ، فيرى أهل المعاني أنها تستعمل مع الأمر المتوقع وقوعه أو المحتمل وقوعه.[54] وهي مثل غيرها من أدوات الشرط تحتاج إلى جملة شرطية وأخرى جوابية وتنطبق عليها كل الشروط والإحكام الخاصة بجملتي الشرط والجواب . وهي مثل (إن) الشرطية في كثرة دخولها على الأسماء في الظاهر أما في الحقيقة فهما داخلان على (فعل مقدر) وجوبا ، لأن أداة الشرط لا تدخل إلا على فعل ظاهر أو مقدر.[55]

وتختلف (إذا) عن (إن) لأن (إن) تدخل على ما يشك في حصوله في حين إن (إذا) تدخل على ما هو محقق الحصول ، بالأمر المتيقن منه أو المظنون , أي المرجح حصوله وتحققه , ولكن الأول هو الغالب ، والقرائن وحدها هي التي تعين اليقين ، أو الظن ، أو الشك ، أو الاستحالة.[56] وهناك مباحث نحوية بعضها دفع إلى أن تخرج (إذا) من أدوات الشرط .[57] أو تحاول بعض المباحث الأخرى أن تضعف فيها خاصيتها الشرطية بأن الشرط لم يترسخ فيها[58] ، ومهما يكن من ذلك فان المسألة لا تتعدى كونها أداة شرط تدخل على جملتين ، وفي الغالب أنهما جملتين فعليتين ، كما نجدها أداة لزمن المستقبل لأن الشرط يبنى على المستقبل (وإما (إذا) فلما يستقبل من الدهر وفيها مجازة) .[59] ولما فيها المجازاة فإنها تقلب الزمن الماضي للمستقبل.[60]

وهناك نصوص مباركة تضمنت (إذا) وأخذت دلالتها على الزمن الاستمراري المتكرر نحو قوله تعالى ﴿**حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء**﴾ الأعراف/57 إذ نجد أن فعلها وجوابها في هذا النص المبارك يقتضي التكرار والاستمرار إذ إنه في كل لحظة تهب الريح وفي كل وقت تحمل سحاباً ، وفي كل فترة ينزل من السحاب ماء . ولكن ربط هذا كله بفعل الله تعالى ، فهو الذي يرسل الرياح مبشرات برحمته على وفق النواميس الكونية التي أودعها الله تعالى . فهي عملية متكررة بحسب وقتها الذي أراده الله تعالى لها. ومثله قوله تعالى ﴿**إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً**﴾ يونس /24 يصور لنا هذا النص مشهداً حافلاً بالحركة والحياة التي تقع في كل يوم ، ويمر عليها الإحياء دون انتباه . وهذه هي الدنيا التي يستغرق فيها بعض الناس ويضيعون آخرتهم لينالوا منها بعض المتاع وهي في حقيقتها لا أمن فيها ولا اطمئنان ، ولا ثبات فيها ولا استقرار ، فهو مشهد متكرر ومثله قوله تعالى ﴿**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾ الحج/5 نجد أن هذه النصوص المباركة تستطرد في تصوير مشاهد الخلق والإحياء في الأرض والنبات . فهي سنن متكررة مطردة تمر في أطوار مختلفة تقتضيها حكمة الخلق والتدبير ، دليلا على قدرته تعالى و ليس لها دلالة زمنية ثابتة على الزمن الماضي أو المستقبل أو الزمن المستمر ، بل أنه زمن سياقي يتنوع بتنوع القرائن اللفظية والمعنوية المتضمنة , جاء في الطراز إن (أن) إنما يكون ورودها في الأمور المحتملة المشكوك في وقوعها كقوله تعالى ﴿ **فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ المائدة/42, وأما (إذا) فإنما تستعمل في الأمور المحققة كقوله تعالى ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها..﴾ وقوله تعالى ((إذا الشمس كورت ..)) فهذه الأمور كلها محققة , فلهذا حسن دخول (إذا) فيها "[61] لذا يقول الدكتور علي فودة : ((إن (إذا) تستعمل في معظم الحالات لمعنى غير المعنى الذي تستعمل له (إن) , إنها تستعمل في الأمور المتيقنة , أو التي يكثر وقوعها على حين تستعمل (إن) فيما يحتمل الوقوع وعدمه , أو في الذي يحدث قليلاً , وخير ما يؤيد ذلك هو الآيات التي اجتمعت فيها (إن) و(إذا) معاً , فقد اجتمعتا في آيات يدرك القارئ لها بحسه وضوح هذه الحقيقة في أكثرها)).[62], وهذا ما ذكره النحاة على وجه العموم . فإنها تستعمل للمقطوع بحصوله والكثير الوقوع بخلاف (إن) التي أصلها الشك والإبهام أو هو اقل مما يستعمل بـ (إذا) , ويبدو ذلك واضحاً في استعمال القرآن الكريم . أما الصيغ التي تلت (إذا) في موضوع بحثنا فكانت في الغالب صيغة (فعل) وهذا ما يتفق مع المباحث النحوية على حد قول الدكتور مهدي المخزومي (الغالب في إذا أن يليها (فعل)).[63]

4ـ(لمّا):

وهي من أدوات الشرط غير الجازمة تختص بالماضي , فتقتضي جملتين , وجدت ثانيهما عند وجود أولاهما.[64] وقيل : فيها حرف وجود لوجود , وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب. [65] وعدها سيبويه بمنزلة (لو) أنها تقع للأمر الذي قد وقع لوقوع غيره.[66] واختلف النحاة بين كونها (ظرفا) أو أنها (حرف) فذهب ابن هشام إلى أنها ظرف بمعنى (حين)[67] في حين إن مذهب سيبويه أنها حرف[68] ,وذكرها بعضهم إنها تسمى (لما التعليقية) .[69] أوهي (ظرف وضع موضع كلمة الشرط) .[70] أو هي أداة رابطة لوجود شيء بوجود غيره .[71] وقد وردت هذه الأداة في عدة آيات مباركة منها , وقد تلتها صيغة (فعل) , نحو قوله تعالى **﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** الأعراف /143 , ومثله قوله تعالى **﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُون ﴾** البقرة17, فهنا (لما) اسم شرط غير جازم مبني على السكون في محل نصب على الظرفية الزمنية بمعنى (حين)[72] إذن هي رابطة أو حينية متضمنة معنى الشرط في كل تلك الأمثلة الواردة .مثله قوله تعالى **﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾** يونس/23, ومثله قوله تعالى **﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾** الزخرف/55 وهنا نتفق مع من ذهب إلى ظرفيتها، أما فعل الشرط في النصوص المتقدمة فقد جاء فعلا ماضيا أما جوابها فقد جاء فعلا ماضيا أيضا وهذا ما يتفق مع ما عليه اغلب النحاة في كون (جوابها فعلا ماضيا اتفاقا).[73] وقد يأتي جوابها جملة اسمية مقترنة بـ(إذا) الفجائية نحو قوله تعالى **﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾** يونس/23

5- (لو) :

وهي حرف امتناع لامتناع , ومعناها امتناع وقوع الجزاء لامتناع الشرط , نحو (لو زرتني لأكرمتك) فامتنع الإكرام لامتناع الزيارة.[74] وتأتي شرطية غير امتناعية نحو قوله تعالى **﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾** الأنفال/23 إذ لا يصح أن يقال : امتنع التولي لامتناع الإسماع , بل هم متولون على كل حال أسمعهم أم لم يسمعهم , فهي تدخل على جملتين فتجعل الأولى شرطاً والثانية جزاء ، ولذا من شأنها أن تدخل على الماضي فتجعله مستقبلا .[75] وتفيد عدم تحقق جملتها فإذا قلت (لو زرعت حصدت) فتفيد عدم الحصاد لعدم وجود الزرع ، هذا هو الأصل في (لو) وقد تدخل على المضارع ، ودخولها عليه لغرض بياني.[76]

وقد تأتي دالة على البعد , كقوله تعالى**﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾** النساء/78 وكذلك قوله تعالى **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾** النساء/135 جاء فيه بـ (لو) التي تفيد البعد , لأن الإنسان ابعد شيء من أن يشهد على نفسه , والوالدين او الاقربين. ومثله قوله تعالى **﴿ ما كان النبي والذين امنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى﴾** التوبة/113 فأولى القربى أولى بالاستغفار من غيرهم فإذا كان منهياً عن ذلك معهم , فالنهي مع غيرهم أولى وهذا ابعد شيء في النهي.

وقد تأتي لمعنى التقليل نحو (تصدقوا ولو بظلف محرق).[77] ومعنى التقليل إنما جاء مما ذكرناه آنفا وهو إن شرطها بعيد الوقوع . فقوله (ص) (تصدقوا ولو بظلف محرق) يعلمنا ألا نحقر من المعروف شيئاً , فالظلف المحرق أبعد شيء عن أن يتصدق به , لكونه قليلاً مرغوباً عنه , ومع ذلك علينا ألا نحقر الصدقة بها ,

لزهادتها , ونحو (تصدق ولو بتمرة) فأن التمرة بعيدة عن أن يتصدق بها , لزهادتها , ومثله (التمس ولو خاتما من حديد) فخاتم الحديد ابعد شيء عن أن يكون مهراً لامرأة لزهادة قيمته , ومن هنا دخلها معنى التقليل.[78] وقد وردت في آيات بحثنا هذا لتؤدي وظيفتها على نطاق واسع كأداة للتمني في موضع وأداة شرط في موضع آخر(لو قد تستعمل بمعنى (إن) للاستقبال فحصل فيها معنى التمني)[79]وقال ابن مالك ((هي (لو) المصدرية أغنت عن فعل التمني ، وذلك أنه أورد قول الزمخشري : وقد تجيء(لو) في معنى التمني في نحو (لو تأتني فتحدثني) فقال : إن أراد إن الأصل:(وردت لو تأتيني فتحدثني) فحذف فعل التمني لدلالة (لو)عليه. فأشبهت (ليست) في الإشعار بمعنى التمني)).[80] ويرى الدكتور المخزومي فيها أن(لو: أداة شرط فيما لا يتوقع حدوثه أو فيما يمتنع تحققه أو فيما هو محال أو من قبيل المحال)[81] لذا ذكرها احد الباحثين في معرض كلامه بأنها قد وضعت في الأصل للدلالة على التمني حينما يكون الأمر مستحيلا أو في حكم المستحيل ، ثم استعملت للدلالة على الشرط.[82] وأشير لها بأن معناها الشرط ، لأن الثاني يوقف وجوده على وجود الأول , فالأول سبب وعلة لوجود الثاني كما كان ذلك في(إن)[83] ومن ورودها في مجال بحثنا هذا تلاحظ أنها دخلت على الجملة الفعلية والصيغ التي تليها هي صيغة (فعل) وهذا ما يتفق والملاحظة التي ذهبت إلى أن الغلبة فيها دخولها على الفعل الماضي , نحو قوله تعالى **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾**الفرقان/45

وكذلك دخولها على الجملة الفعلية التي فعلها مضارع نحو قوله تعالى **﴿وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُو﴾** الزخرف/60 ونجد ـــ في الغالب ـــ اقتران جوابها (باللام) والتي تسمى (لام التسويف) كقوله تعالى **﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾** الزمر/4 وقوله تعالى **﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾** الأنبياء/17 وللنحاة رأي حسن في مجيئها . إذ إنها تفيد التأجيل والتأخير والتمهل , لأنها تدل على أن تحقق الجواب سيتأخر عن تحقق الشرط زمناً طويلاً . وعدم مجيئها يدل على تحقق الجواب سيتأخر عن تحقق الشرط زمناً يسيراً قصير المهلة بالنسبة للمدة السالفة ، فتحقق الجواب في الحالتين متأخر عن تحقق الشرط كالشأن في الجواب دائما لكن مجيء اللام معه دليل على أنه سيتأخر كثيراً , وان مهلته ستطول بالنسبة له حين يكون خالياً .[84]

بينما يرى الدكتور فاضل السامرائي رأياً غير ذلك إنها لا تحتمل التسويف , بدليل عدم صحة تقديره في تعبيرات كثيرة , من ذلك قوله تعالى **﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** آل عمران/110 وليس في هذا معنى التسويف , ومثله قوله تعالى **﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾** النساء/64 وهو تواب رحيم في الحال والاستقبال والمضي و لا يراد به تسويف التوبة عليهم .ومثله قوله تعالى **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾** المائدة/65, وليس المقصود تسويف التكفير .ومثله قوله تعالى **﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً﴾** الأنعام/9 ومثله قوله تعالى **﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجراً﴾** الكهف/77 ومثله قوله تعالى **﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾** المؤمنون/71, فهذا كله لا يحتمل التسويف على رأي الدكتور فاضل السامرائي.(85) وذهب آخرون إلى أنها لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى [86] وذهب بعضهم أن اللام الواقعة في جواب القسم فقولك (لو زرتني لأكرمتك) في تقدير (والله لو زرتني لأكرمتك).[87] وقسم ذهب إلى أنها زائدة مؤكدة وذلك لجواز سقوطها [88] وهنالك رأي آخر لابن الأثير يقول فيه (لا مجيء ذلك إلا لضرب من المبالغة ، وفائدتها في التأليف انه عبر عن أمر يعز وجوده أو فعل يعظم إحداثه ووقوعه جيء بها ، فمن هذا الباب قوله تعالى **(لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا)**الواقعة/65).[89]

6- (أمَا):

حرف شرط وتفصيل وتوكيد , فهي "كلمة فيها معنى الشرط بدليل لزوم الفاء في جوابها "[90], و تدل على أمرين متلازمين معا هما الشرطية والتوكيد , ومن ثمة تدل على التفصيل نحو قوله تعالى ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ* وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ الضحى/9 . ومثله قوله تعالى ﴿ **فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ* فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ* فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ** ﴾ الواقعة/88-94 فهي أداة شرط بسبب قيامها مقام اسم الشرط (مهما) الواجب حذف جملته الشرطية , فكأنها قائمة مقامه بحيث يمكن حذف (أمَا) ووضع (مهما) موضعها , فلا يفسد المعنى ولا التركيب مطلقاً.[91] وليس من اللازم أن تكون (أمَا) الشرطية كل استعمالاتها قائمة مقام (مهما يكن شيء أو من شيء) بهذا التعبير الحرفي , فمن الجائز أن تقوم مقام تعبير شرطي آخر مناسب للسياق وللمعنى المراد , ومن الملاحظ من خلال ورودها في اغلب الآيات المباركة اقتران جوابها بـ (الفاء) الزائدة للربط المجرد , نحو قوله تعالى ﴿ **أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ السجدة/19. وتأتي في حالات قد يحذف جوابها فتحذف معه كقوله تعالى ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾ ال عمران/106والأصل : فيقال لهم : أكفرتم .., ويجوز حذفها لدليل , ويكثر هذا قبل الأمر والنهي , كقوله تعالى ﴿ **قُمْ فَأَنْذِرْ *وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾ المدثر/2-3

المبحث الرابع: الأنماط الشرطية ودلالتها :

ذكرنا في ما تقدم أن الأداة الشرطية لا تدخل على الأسماء وإنما تحتاج إلى أفعال فإما إلى فعلين مضارعين فتجزم لفظهما مباشرة إن كانا معربين ومحلهما إن كانا مبنيين ، وإما إلى فعلين ماضيين يحلان محل المضارعين وتجزمهما الأداة محلا ، وإما إلى فعلين مختلفين فتجزم المضارع منهما ، وتجزم محل الماضي ، وإما جملة اسمية تحل محل فعل المضارع الثاني ، ولا يمكن أن يحل الأول شيء ، لان الأول لابد أن يكون فعلاً مضارعاً أو ماضياً .

وقد وردت هنالك أنماط شرطية لها صور مختلفة ، منها نحو قوله تعالى ﴿**فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا**﴾ الأعراف /189﴿**فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**﴾ فصلت / 39 يرى سيبويه ذلك ((فأحسن الكلام أن يكون الجواب (افعل) لأنه نظيره من الفعل ، وإذا قال (فعلت) فأحسن الكلام أن تقول (فعلت) لأنه مثله)) [92] ففي هذا النمط يتفق فعل الشرط مع جوابه وهذه الصورة وردت بشكل متكرر في آيات بحثنا ، وقد عرض ابن جني (ت392هـ) لهذا النمط المتكون من فعلين ماضيين في محاولة لتوضيح الفرق بينه وبين النمط الشرطي المكون من جملتين فعليتين فعلهما مضارع بقوله ((لأن الشرط معلوم انه لا يصح إلا مع الاستقبال يعني (الفعل المضارع) جئت بلفظ الماضي الواجب تحقيقا للأمر وتثبيتا له أي : أنه وعد موفي به لا محالة كما أن الماضي واجب لا محالة ..)) [93] وهذا يعني إن صيغة الفعل الماضي تفقد دلالتها الزمنية في الشرط متطابق في الدلالة هذه مع صيغة المضارع ، والتعبير في الصيغتين لكل واحد منها دلالة خاصة به ، وقد التفت إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) بقوله ((إنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر.. وفي الشرط والجزاء ، إلى الوجوه التي تراها في قولك (إن تخرج اخرج) و(إن تخرج فأنا خارج) و (وأنا خارج إن خرجت) و (أنا إن خرجت خارج) فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له)) [94]

وتابع ابن جني المعاصرين في تفسيرهم الفروق الدلالية بين الأنماط الشرطية الفعلية . فذكر الدكتور مصطفى جواد (إن الفعل المعبر عنه بفعل الشرط إذا كثر حدوثه استعمل الماضي ، وإذا قل حدوثه استعمل المضارع ، فالماضي أولى بالكثير لأنه كالحادث ، والمضارع أولى بالقليل لأنه لم يحدث) [95] ويقترب ذلك من رأي الدكتور المخزومي بقوله (أن المتكلم باستعمال صيغة الماضي يوهم السامع برجحان احد الطرفين على الآخر)[96] ثم إن الفعل الماضي في هذه السور المباركة يجزم محلا لأنه محمول على المضارع المجزوم لفظاً فيكون مبنياً كالشأن في الأفعال الماضية ، ولكنه في محل جزم لأنه فعل الشرط أو فعل الجواب.[97] باستقراء هذا النمط نجد الصورة التي عبر عنها ، حيث عبرت عن ارتباط بالزمن الماضي, وعند حدث مضى ، ومن ثم هذا النمط يحتوي على خصائص بنائية ودلالية ، فعند فحص الظواهر اللغوية المتصلة بهذا النمط في موضوع بحثنا في قوله ﴿**فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا**﴾الأعراف /189 فان المعنى الذي عبر عنه سبحانه من خلال هذه الصورة النمطية هو تصوير العلاقة الأولية بين الزوجين ، تنسيقاً لصورة المباشرة مع جو السكن ، وترقيقاً لحاشية الفعل حتى ليبدو امتزاج طائفين لا التقاء جسدين ، إيحاء للإنسان بالصورة (الإنسانية) في المباشرة ، وافتراقها عن الصورة الحيوانية الغليظة .[98] أما الدلالة التي أشارت إليها الصورة النمطية في سورة الكهف ﴿**لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا**﴾الآية/18 إذ إنها تصور مشهداً عجيباً عن هيأة الفتية في كهفهم وهم يثيرون الرعب في قلب من يطلع عليهم إذ يراهم نياماً كالأيقاظ ، وذلك من تدبير الله كي لا يعبث بهم عابث .[99] أما الدلالة التي أشير إليها في سورة فصلت ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ الآية/39 تشير إلى دقة التعبير القرآني حول خشوع الأرض وسكونها قبل نزول المطر ، والخشوع والتصاغر استعير لحال الأرض حال خلوها عن المطر والنبات ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وكأنها هي حركة شكر وصلاة على أسباب الحياة ، وذلك أن السياق الذي وردت فيه هذه الآية سياق خشوع وعبادة وتسبيح وهذه الحركة هي المقصودة هنا لأن كل ما في المشهد يتحرك حركة العبادة .[100]

وهناك صورة شرطية أخرى جاءت في قوله تعالى ﴿**فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء..**﴾ الإنعام /125 إن هذا التركيب المكون من فعلين مضارعين عده النحاة التركيب الأساس في الشرط ، وهو في سياق أدوات الشرط الجازمة وصيغة المضارعة الدالة على المستقبل ويكون فيها الفعل مجزوماً .

وهناك رأي للدكتور المخزومي يذهب فيه ((إن الشرط خلو من الدلالة على الزمان أكان على (يفعل) أم على (فعل) ...)).[101] وقد بني على هذا الرأي جزم المضارع في الجملة الشرطية ((فلما كانت صيغة (يفعل) في الشرط لا دلالة لها على الزمان جزمت لأنه صيغة (يفعل) إما أن تدل على الحاضر فترفع ، أو تدل على المستقبل فتنصب ، فإذا دلت على غير الحاضر والمستقبل لم يكن فيها غير الجزم ، وصار الجزم شركة بين (يفعل) الدالة على الماضي نحو (لم يفعل) و(لما يفعل) و (لا يفعل) التي لا تدل على الزمان البتة كالتي بعد أدوات الشرط)).[102] أما الدلالة المعنوية التي انصرف إليها هذا النمط فتوزعت بين النصح والإرشاد والحكمة مع دلالة الحدث على الاستمرار والتردد ، أما في قوله تعالى ﴿**فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ..**﴾ الإنعام / 125 إذ أراد الله تعالى في حكمته الترغيب في الإيمان والنصح على التمسك به ، والزجر عن الكفر والابتعاد عنه فمن يرغب في الهدى ويتجه إليه (يشرح صدره) بأن يثبت عزمه عليه ويقوي دواعيه على التمسك به ، ويزيل عن قلبه وساوس الشيطان، وإنما يفعل ذلك لطفا له ، ومنّاً عليه ، أما من يرغب عن الهدى فيجعل كفره في صدره ضيقاً حرجاً عقوبة له على ترك الإيمان و(يجعل صدره ضيقاً حرجاً) بأن يمنعه الألطاف التي ينشرح لها صدره لإقامته على كفره .[103] وقد وردت هناك صورة نمطية أخرى يكون فعل

الشرط فعلا ماضياً وجوابه فعلاً مضارعاً . نحو قوله تعالى ﴿**وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مّبين** ﴾ هود/7 نجد جواب الشرط جاء فعلا مضارعاً مقترناً بلام جواب القسم ، وجواب الجزاء مستغني عنه بجواب القسم لأنه إذا جاء في صدر الكلام غلب عليه ، وفعل المضارع إذا جاء مبنياً على الفتح لاتصاله بنون التوكيد ، وانه إذا اجتمع الشرط والقسم فالأصل أن يكون لكل منها جواب . غير أن جواب احدهما قد يحذف اكتفاء بجواب الآخر الذي يغني عنه ويدل عليه.[104]

ومن الملاحظ أن صورة هذا النمط قليل ورودها في آيات بحثنا هذا ، لذا يقول سيبويه : إن المضارع المرفوع بعد فعل الشرط الماضي – مثل : إن رأتني تميلٌ عني ..., ليس هو جواب الشرط ، وإنما هو دليل على الجواب , وتسميته بالجواب : تساهل ، أو مجاز لدلالته على الجواب , والجواب الحقيقي محذوف , وهذا المضارع المرفوع قد تأخر مع فاعله عن موضعهما الأصلي الذي يسبق أداة الشرط . والأصل عنده : تميل عني إن رأتني تمل . فالجواب محذوف دل عليه جملة :(تميل عني). وهذه الجملة المتقدمة على أداة الشرط قد تركت موضعها وجاءت متأخرة عن الجملة الشرطية , ففي الكلام أمران , حذف الجواب , وتأخير ما يدل عليه . وعلى هذا لا يجوز جزم ما عطف على هذا المضارع , ويجوز أن يفسر ناصباً للاسم الذي قد يكون قبل الأداة , مثل : محمد إن جاء أكرمه وأرعاه . أما الكوفيون فيرون إن المضارع وما يتصل به هو الجواب ولكن على تقدير (الفاء) التي تدخل على الجواب أحيانا, فتقوم في إفادة الربط بين جملتي الشرط والجواب مقام جزم الفعل .[105] وقد وردت للشرط صورة نمطية أخرى يكون فعل الشرط فعلاً ماضياً أو مضارعاً وجوابه يكون جملة اسمية كقوله تعالى ﴿**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾ الزمر/7. ومن صور هذا النمط الشرطي اقتران جواب الشرط بـ (الفاء) الرابطة التي تفيد ربط وتقوية الجملة الشرطية ولكي لا تكون جملة احدهما مستقلة بمعناها عن الأخرى بعد زوال الجزم الذي كان يربط بينهما ، فهي للربط المحض الدال على التعليل ، وليس للعطف ولا لغيره .[106] فلهذه الفاء وظيفة بنائية وهي عقد الصلة ، والربط بين أجزاء جملة الشرط . أي إذا كان الجواب لا يصلح أن يكون شرطا وجب اقترانه بالفاء ، وقد حدد ابن هشام تلك المواضع.[107]

وأورد سيبويه ملاحظاته عنهما عموما منها : أنها تضم الشيء إلى الشيء فتجعله متسقاً بعضه اثر بعض ، ومنها إن هذه (الفاء) تأتي للتعليل ولا يكون الجواب إلا بها.[108] وأورد النحاة من بعده ملاحظاتهم حولها ، وهي لا تخرج في إطارها عما لاحظه سيبويه فيها.[109] ومن الآيات التي وردت في هذه الصورة النمطية قوله تعالى ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ يونس/104 أراد أن يبين من خلال هذا النمط إن العقيدة الحقة هي في نفي الشرك ، وترك عبادة الأوثان بكل قوة ، وتطرقت إلى بيان دليل ذلك ، دليل الفطرة ، ودليل العقل لنفي الشرك والشفعاء من الأوثان ، ورجع الأمر كله لله ، وسننه المقدرة التي لا يملك أحد تحويلها ولا تبديلها.[110] وقوله تعالى ﴿**هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ غافر/68 فأراد الله تعالى أن يبين من خلالها على نفاذ قدرته في الحياة والموت وبالعكس ، وان نقل هذه الأجسام من بعض هذه الصفات إلى صفة أخرى لم يتعب في ذلك التصرف ، ولم يحتج إلى آلة وأداة ، وإنما أمره إذا قال له (كن فيكون).[111] إذن تلك أهم الأنماط الشرطية ودلالتها الوظيفية الواردة ، وقد تبين لنا من ذلك مفهوم الشرط ، وصوره البيانية والأنماط التي يرد عليها . كما توصلنا إلى المعاني الوظيفية لبعض أدوات الشرط ودلالتها وكيفية استعمالها في الشرط لتؤدي وظيفتي الربط والتعليق بين عبارتي الشرط والجزاء ..وختاماً أرجو من الله إن يوفقني فيما ذهبت إليه ، ومن الله السداد والتوفيق.

الهوامش

1- ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه 284

2- ينظر: دلائل الاعجاز 189

3- ينظر: مغني اللبيب 96/1

4- الأصول في النحو 185/2

5- في النحو العربي نقد وتوجيه 285

6- ينظر: قطر الندى 285, والنحو الوافي 317/4

7- الكافية 12/1

8- ينظر: النحو الوافي 318/4

9- ينظر: المصدر نفسه 320/4

10- ينظر: مغني اللبيب 376/2

11- النحو الوافي 325/4

12- الكتاب 63/3

13- المصدر نفسه 134/1

14- الأصول 167/2

15- المقتضب 370/2

16- ينظر: شرح الاشموني 29/4

17- الكافية 111/2

18- الجنى الداني 538

19- اللغة العربية معناها ومبناها 125

20- النحو الوافي 313/4

21- ينظر: المصدر نفسه 367/4

22- ينظر: التركيب اللغوي 77

23- ينظر: همع الهوامع 206/1, وشرح المفصل4/9 , والنحو الوافي 326/4

24- النحو الوافي 327/4

25- ينظر: معاني النحو 47/4 , والنحو الوافي 322/4

26- ينظر: البلاغة فنونها وافنانها 353

27- ينظر: المصدر نفسه 354

28- الكشاف 139/2 , وينظر: البلاغة فنونها وافنانها 355

29- الكتاب 134/1

30- الجملة العربية 247

31- ينظر: النحو الوافي 336/4

32- ينظر: البرهان 197/4 , ومعاني النحو – فاضل السامرائي 57/4

33- ينظر: المفصل 66/2

34- ينظر: الكتاب 305/2

35- ينظر: المقتضب 54/2

36- ينظر: شرح ابن يعيش 4/9

37- ينظر: الكليات 407

38- ينظر: معاني النحو 60/4

39- شرح ابن يعيش 4/9

40- ينظر: الطراز 299/3

41- مختصر المعاني 60

42- النحو الوافي 327/4

43- شرح المفصل 41/7

44- المقتضب 56/2

45- شرح المفصل 155/8

46- المصدر نفسه 4/9

47- الانصاف 627/2

48- ينظر: النحو الوافي 266/4

49- الكتاب 134/1

50- الكشاف 72/2

51- الكتاب 309/2

52- المقتضب 50/2 – 51

53- ينظر: قطر الندى 92

54- ينظر: الايضاح 88/1

55- ينظر: النحو الوافي 333/4

56- ينظر: المصدر نفسه 325/4

57- ينظر: الخصائص 104/1 , والتركيب اللغوي 88

58- ينظر: الكافية 111/3 , واللغة العربية معناها ومبناها 112

59- الكتاب 232/4

60- ينظر: التركيب اللغوي 89

61- الطراز 277/3

62- الشرط بان واذا في القرآن ص 60 – بحث في مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض – المجلد الرابع – السنة السابعة

63- في النحو العربي قواعد وتطبيق 122

64- ينظر: مغني اللبيب 280/1

65- ينظر: المصدر نفسه 280/1

66- ينظر: الكتاب 234/2

67- مغني اللبيب 243/2

68- ينظر: الكتاب 234/2

69- المصدر نفسه 215/2

70- الجنى الداني 538

71- الكافية 127/2

72- ينظر: قطر الندى 42

73- مغني اللبيب 243/1

74- معاني النحو 76/4

75- ينظر: شرح المفصل 155/8

76- ينظر: البلاغة فنونها وافنانها 365

77- ينظر: مغني اللبيب 276/1

78- ينظر: معاني النحو 78/4

79- شرح المفصل 11/9

80- مغني اللبيب 233/1

81- في النحو العربي – نقد وتوجيه 291

82- ينظر: التركيب اللغوي 99

83- ينظر: مغني اللبيب 233/1

84- ينظر: النحو الوافي 377/4

85- ينظر: معاني النحو 80/4

86- ينظر: المفصل 220/2

87- ينظر: مغني اللبيب 235/1

88- ينظر: شرح ابن يعيش 23/9

89- الجامع الكبير 255/1

90- البرهان في علوم القران 242/4

91- ينظر: النحو الوافي 383/4

92- الكتاب 91/3

93- الخصائص 330/3

94- دلائل الاعجاز 127

95- المباحث اللغوية في العراق 48

96- في النحو العربي – نقد وتوجيه 296

97- ينظر: النحو الوافي 357/4

98- ينظر: في ظلال القرآن 1412/9

99- ينظر: تفسير الفخر الرازي 444/21

100- ينظر: في ظلال القرآن 3125/24

101- في النحو العربي – نقد وتوجيه 296

102- المصدر نفسه 300

103- ينظر: مجمع البيان 120/4

104- ينظر: النحو الوافي 326/4

105- ينظر: المصدر نفسه 359/4

106- ينظر: المصدر نفسه 347/4

107- ينظر: قطر الندى 92

108- ينظر: الكتاب 217/4 , 63/3

109- ينظر: الخصائص 196/2 , وهمع الهوامع 67/2

110- ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل 247/6

111- ينظر: تفسير الفخر الرازي 531/27

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم

2- الأصول في النحو/ أبو بكر السراج / تحقيق عبد الحسين الفتلي / النجف الاشرف 1973م

3- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي /دار الأميرة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان 1426هـ –2005 م

4- الإيضاح في علوم البلاغة/الخطيب القزويني/تحقيق لجنة من الأساتذة/ مكتبة المثنى/بغداد(د.ت)

5- البرهان في علوم القرآن/ بدر الدين الزركشي / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/ط1مصر 1975م

6- البلاغة فنونها وأفنانها / فاضل حسن عباس/ دار الفرقان للنشر والتوزيع/عمان – الأردن 2005م

7- التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر/ مالك يوسف المطلبي/وزارة الثقافة والأعلام/بغداد 1986م

8- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب / فخر الدين الرازي (ت606هـ)/دار إحياء التراث العربي/ بيروت–لبنان 1429هـ/2008م

9- تفسير الكشاف/ أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت 538 هـ) تحقيق محمد عبد السلام شاهين/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط4 1427 هـ / 2006 م

10- تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن/ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت548هـ) / دار المرتضى – بيروت – لبنان 1427هـ/2006م

11- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور/عز الدين بن الأثير (ت360هـ) تحقيق عبد الحميد الهنداوي – دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع – القاهرة – مصر 1428هـ–2007م

12- الجملة العربية/ فاضل صالح السامرائي / دار الفكر ط3 عمان – الأردن 1430هـ–2009م

13- الجنى الداني في حروف المعاني /حسين بن قاسم المرادي(ت749هـ)/ تحقيق طه محسن / مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر / جامعة الموصل 1396هـ –1976م

14- الخصائص/أبو الفتح بن جني / تحقيق محمد علي النجار/الطبعة الثانية المصورة/بغداد1990م

15- دلائل الأعجاز/عبد القاهر الجرجاني/تحقيق محمد رشيد رضا/دار المعرفة بيروت/لبنان1984م

16- شرح الأشموني/علي بن محمد ابو الحسن نور الدين /تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد/ مصر – القاهرة 1955م

17- شرح المفصل/ يعيش بن علي بن يعيش(ت643هـ) صححه وعلق عليه مشيخة الأزهر – إدارة الطباعة المنيرية – مصر (د.ت)

18- الطراز/ يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي (ت 749 هـ) / تحقيق عبد الحميد الهنداوي / المكتبة العصرية للطباعة والنشر / بيروت – لبنان / 1423 هـ -2002 م
19- في ظلال القرآن/ سيد قطب / دار الشروق – القاهرة – مصرة 1425هـ-2004م
20- في النحو العربي نقد وتوجيه/ مهدي المخزومي/دار الرائد العربي/ بيروت – لبنان ط2- 1986م
21- قطر الندى /أبو هشام الأنصاري / تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / القاهرة /1963م
22- الكافية في النحو /عثمان بن عمر بن أبي بكر يونس أبو عمرو بن الحاجب (ت646هـ) / تحقيق صالح عبد العظيم الشاعر/مكتبة البشرى – كراتشي 2011م
23- الكتاب/ لسيبويه – تحقيق عبد السلام محمد هارون- مصر / 1977م
24- الكليات/ أيوب بن موسى القريمي الكفوي أبو البقاء(ت1094هـ) تحقيق عدنان درويش/ مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان
25- اللغة العربية معناها ومبناها/ تمام حسان / الهيأة المصرية العامة للكتاب ط2- مصر 1979م
26- مختصر المعاني/ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت793هـ)/ دار الفكر , قم 1411هـ
27- المفصل في علم العربية / لأبي القاسم جار الله الزمخشري – الدار الجيل-بيروت 1323هـ
28- المقتضب/ أبو العباس المبرد / تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة – القاهرة 1386هـ
29- معاني النحو/ فاضل صالح السامرائي / مطبعة التعليم العالي – الموصل / 1989
30- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب /ابن هشام الأنصاري / تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – مطبعة المدني – القاهرة (د.ت)
31- النحو الوافي/ عباس حسن / مطبعة دار المعارف / مصر- الطبعة الخامسة – القاهرة 1975م
32- همع الهوامع / جلال الدين السيوطي/تحقيق عبد السلام محمد هارون/دار البحوث العلمية –الكويت 1975م
33- الشرط بإن وإذا في القرآن- بحث في مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض – المجلد الرابع- ص60